

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشاذلي بن جديد-الطارف-
كلية الحقوق والعلوم السياسية



جامعة الشاذلي بن جديد
UNIVERSITÉ CHADLI BENDJEDID

سلسلة محاضرات في الاقتصاد السياسي

مقدمة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك حقوق

السنة الجامعية: 2024_2023

المحور الثالث: الأنظمة الاقتصادية ما قبل الرأسمالية

المحاضرة الرابعة: الأنظمة الاقتصادية ما قبل الرأسمالية

أولاً: النظام الاقتصادي المشاعي (البدائي)

تعتبر المشاعية البدائية أول نظام إقتصادي في التاريخ وكانت وسائل الإنتاج التي إستخدمها الإنسان بسيطة وبدائية، كما كانت مهارات العمل وخبرة الأفراد ومعرفتهم قليلة جداً، لذلك لم يكن في مقدور الأفراد مواجهة الطبيعة إلا بتجميع جهودهم وتضافرها، وقد عاش الأفراد في مشاعات قبلية متوحدين على أساس قرابة الدم تسيطر عليهم عادات وتقاليد بسيطة¹، وقد النظام البدائي بثلاثة مراحل أساسية وهي:²

أ- مرحلة الوحشية: وتنقسم هذه المرحلة بدورها إلى ثلاث أطوار تبعاً لفنون الإنتاج المستخدمة وتتمثل هذه الأطوار في:

- **الطور الأول:** اعتمد على الجمع والتقاط الثمار والنباتات الطبيعية الغابية أي أنه في ذلك الطور لم يفرق بين الإنسان والحيوان الوحشي إلا في التصرفات الإنسانية، أما الأدوات المستخدمة فكانت العصي والحجارة.

- **الطور الثاني:** تميز باحتراف الإنسان لصيد السمك وباستخدام النار المتولدة عن الاحتكاك.

- **الطور الثالث:** اتسم بالتوسع النسبي في الصيد خاصة بعد استخدام القوس والسهم.

ب- **مرحلة البربرية:** لقد تطور الفن الإنتاجي في هذه المرحلة نسبياً حيث لجأ الإنسان لتربية الماشية وزراعة النباتات ثم تطور بعد ذلك لتربية الحيوانات المنزلية وري الزراعة ثم استخدام الآجر والحجارة في البناء، واتسمت نهاية تلك المرحلة باستخدام المحراث والتوسع في الزراعة.

¹ - الموسوعة العربية، الأنظمة الاقتصادية، متاح على الرابط التالي: <http://arab-ency.com.sy/overview/183> ، تم تصفح الموقع بتاريخ: 2021/03/16.

² - آسيا سعدان، تاريخ الوقائع الاقتصادية، مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، قسم العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة 8 ماي 1945، قلمة، 2019، ص 4.

ج- مرحلة التمهيدي الحضاري: وتعتبر هذه المرحلة هي الحد الفاصل بين النظام البدائي والنظام المدني أي نظام الرق كنظام أولي من النظم المدنية.

2- خصائص النظام المشاعي:

- طبيعة علاقات الإنتاج: كان الناس يعيشون حياة قبلية وكان إقتصاد القبيلة يدار بصورة مشتركة لتأمين حاجاتهم وذلك عن طريق إقامة علاقات إنتاجية قائمة على الملكية الاجتماعية لوسائل الإنتاج فإظطرارهم للتعاون وتوافر أدوات عمل بسيطة موجودة ومتاحة في الغالب من الطبيعة لم تسمح بتملكها لأشخاص أو مجموعات معينة داخل القبيلة، حيث كانت الأرض وأدوات العمل وإنتاجه كلها ملكية مشتركة لأفراد القبيلة، وكان توزيع المنتجات يتم ضمن كميات متساوية وقليلة للحفاظ على البقاء نظرا للأخطار المحدقة بالناس³.

- التوزيع المتساوي للمنتجات: بسبب ضعف القوة المنتجة، الملكية المشاعية على وسائل الإنتاج ومنتجات العمل يفرضان شكلا معيناً من أشكال التوزيع، وهو التوزيع المتساوي، وهذا بغض النظر عن كمية ونوع العمل الذي يبذله في الإنتاج الجماعي⁴.

- التقسيم الاجتماعي للعمل: كان المجتمع البدائي قائم على المساواة وعلى إشراك المرأة والرجل معا في العمل، حيث ظهر أول تقسيم اجتماعي للعمل حسب الجنس والعمل فتختص النساء مثلا في جني الثمار وتربية الأطفال وأعمال البيت بينما يختص الرجال في الصيد والابتعاد عن الديار لمدة طويلة أو قصيرة، وإحتلت المرأة مركز القيادة في القبيلة البدائية لأنها ثابتة، بالمقابل في حالة الصيد هذه التي هي مهنة الرجال جعلتهم يحتلون مركزا ثانويا في القبيلة البدائية⁵.

- ظهور التملك الخاص والطبقات: بالحديث عن التملك الخاص والطبقات فإننا نتحدث عن مرحلة جد متقدمة من النظام المشاعي (تكاد تكون مرحلة إنتقالية بين النظام المشاعي ونظام الرق-العبودي-)، فبعد التطور الحاصل على مستوى أدوات العمل أصبح العمل أكثر

³ - عبد الله ساقور، مرجع سابق، ص 43.

⁴ - سعاد حوحو، تاريخ الوقائع الاقتصادية، مطبوعة بيداغوجية مقدمة لطلبة سنة أولى LMD مجال العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، قسم العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014، 2015، ص 11.

⁵ - عبد الله ساقور، مرجع سابق، ص 43.

إنتاجية وهو الأمر الذي لم يعد يستدعي العمل بطريقة جماعية على مستوى العشيرة، فإرتفاع الإنتاجية سمح بالإنتاج في الزراعة والرعي والحرف على نطاق إجتماعي أضيق من العشيرة وهو الأسرة التي أصبحت الوحدة الإقتصادية والإجتماعية الجديدة في المجتمع، وبهذا فسح المجال للعمل الخاص على نطاق الأسرة للحلول تدريجيا مثل محل العمل المشترك وهو الذي أدى إلى ظهور الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، ويشير التاريخ أن الملكية الخاصة بدأت بالمشاعية فقد بدأ زعماء العشائر بإمتلاكها بعدما كانت ملكية جماعية لأفراد العشيرة، ثم إمتدت الملكية الخاصة لجميع أدوات الإنتاج وكانت الأرض آخر ما دخل في نطاق التملك الخاص⁶.

وقد أدى ظهور الملكية الخاصة إلى تقسيم العشيرة أولا إلى أسر كبيرة ثم إلى وحدات عائلية صغيرة بالإضافة إلى تغير البنيان الإجتماعي للمجتمع البدائي حيث انفصل مالكي وسائل الإنتاج عن عامة أفراد المجتمع وأصبحوا يتولون المناصب الإجتماعية والسياسية وهو مساهم في الإنتاج بما فيها الإنسان نفسه ففي السابق كان الأسرى يقتلون لأنه في ظل إنخفاض تطور أدوات العمل أصبح الإحتفاظ بالأسرى مجدي من الناحية الإقتصادية، إذ أصبح الأسرى يحققون فائضا من المنتجات وهو ما أصبح يبرر عدم قتل أسرى الحرب والإكتفاء باستعبادهم، وبهذا ظهر نظام الرق وتوسع ليشمل مع التطور التاريخي أفراد القبيلة نفسها وبهذا تكون علاقات الانتاج المشاعية قد انتهت لتحل محلها علاقات إنتاج جديدة⁷.

* القانون الأساسي الإقتصادي للنظام المشاعي هو: إنتاج الخيرات الضرورية لسد حاجات القبيلة بواسطة الأدوات البسيطة وعلى أساس العمل الجماعي⁸.

3- أسباب انخيار النظام البدائي: تتمثل أبرز أسباب انخيار النظام البدائي في التالي:⁹

- تطور مستوى الإنتاج وظهور المنتج الفائض وذلك بسبب تطور قوى الإنتاج الإجتماعية.
- التحول من العمل الجماعي المشترك إلى العمل الفردي بسبب تخصص أدوات العمل ووسائله وامتلاك الأفراد لها.

⁶ - ملخص تاريخ الوقائع الإقتصادية، مرجع سابق، ص 14.

⁷ - نفس المرجع.

⁸ - عبد الله ساقور، مرجع سابق، ص 44.

⁹ - سعاد حوحو، مرجع سابق، ص ص 14، 15.

- نهاية التوزيع المتساوي لمنتجات العمل بين أفراد الجماعة وظهور حب التملك مما أدى إلى ظهور التفاوت الاقتصادي.

- **أزمة علاقات الإنتاج:** بعدما مال دور المنتجين إلى عدم التساوي، إزدهرت الملكية الخاصة على حساب الملكية العامة وأصبحت أمالك العائلات وراثية وتعاضم نتيجة ذلك التفاوت في الثروة بين أعضاء المشاعة وصار في مقدور أصحاب الأملاك أن يرغموا المحرومين منها على العمل لحسابهم ليستولوا من ثمة على فائض إنتاج عملهم، وكانت أولى ضحايا الاستغلال أسرى الحروب حيث تحولوا تدريجياً إلى أرقاء (عبيد)، ودشن ظهور الرق عهداً تاريخياً جديداً هو عهد استغلال الإنسان للإنسان وانقسم المجتمع الذي لم يكن يعرف في الماضي سوى شكل واحد من الملكية هو الملكية الجماعية تدريجياً إلى ثالث طبقات رئيسية تكونت بحسب علاقاتها بأدوات العمل ووسائله.

- ظهور إمكانية العمل الفردي نتيجة تطورت أدوات العمل ونمو إنتاجية العمل مكن ذلك من أن تقوم أسرة واحدة بحراثة الأرض وتحقيق المقادير الضرورية للطعام¹⁰.

ثانياً: النظام العبودي (الرق):

1- نشأة النظام العبودي: ظهر النظام العبودي في أحضان النظام المشاعي نتيجة سلسلة من إكتشاف أدوات الإنتاج أدت إلى زيادة إنتاجية العمل وظهور تقسيمات إجتماعية جديدة للعمل وتطور التبادل والملكية الفردية ونشوء الطبقات والدولة، والعبودية تاريخياً هي أول أشكال الأنظمة الإستثمارية وأشدها قسوة، وقد وجدت لدى جميع الشعوب تقريباً (حيث كان الإنتقال من نظام المشاعية البدائية إلى نظام العبودية في بلدان الشرق أول الأمر)¹¹.

2- خصائص النظام العبودي (الرق):

- هو نظام يعتمد على استخدام أسرى الحرب من الأعداء ومن الفقراء من أبناء الجماعة في زراعة الأراضي الشاسعة، وقد أدى التوسع في الاهتمام بالزراعة وتطوير أدواتها إلى تطوير

¹⁰ - عبد الله ساقور، مرجع سابق، ص 45.

¹¹ - ابراهيم كبة، دراسات في تاريخ الإقتصاد والفكر الإقتصادي، الجزء الأول، ط 1، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1970، ص

- المنتجات الزراعية واستحداث أصناف جديدة من المزروعات، إضافة إلى التوسع في الاعتماد على المراعي، كما تعتمد الأغنياء زيادة عدد الأرقاء التابعين لهم¹² من خلال:¹³
- الغزوات العسكرية واستخدام الأعداء كأسرى حرب.
 - إقراض الفقراء العاملين لديهم بفوائد ربوية باهضة وتحويلهم إلى أرقاء حينما يعجزون عن سد ديونهم.
 - تحويل المجرمين الذين يقترفون الجرائم إلى عبيد كنوع من العقوبة.
 - بيع المفقودين بواسطة الذين يحصلون عليهم.
- * إنقسم النظام العبودي حسب المؤرخين إلى ثلاثة فئات أساسية وهي:¹⁴
- أ- طبقة الأسياد: وهم مالكي العبيد ووسائل الإنتاج المختلفة من أراضي وعقارات... إلخ
 - ب- طبقة المنتجين: وهم أولئك العامة من الناس التي اقتصادها الصغير المبني على أساس العمل الشخصي والملكية الصغيرة لوسائل الإنتاج.
 - ج- طبقة العبيد: وهم المجرمين من ملكية وسائل الإنتاج ويتم استخدامهم بشكل جماعي في المناجم وفي أعمال البناء والحفر وشق الطرق والزراعة والري وفي أنواع متعددة من الحرف كتجديف السفن وبناء المعابد والأهرامات والأسوار والقلاع...
- يقوم هذا النظام على الملكية الخاصة لعناصر الإنتاج خاصة أهم عنصرين انتاجيين: الأرض وجميع ما عليها من موارد طبيعية، وكذلك ملكية عنصر العمل (العبيد)، أما رأس المال فلم تبرز له أهمية تذكر في العملية الإنتاجية قبل الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر¹⁵.
- يتميز النظام العبودي بضخامة فائض الإنتاج الناجم عن حرمان العبيد من أي نصيب عند توزيع الناتج ماعدا ما يستلزم بقائهم قادرين على العمل وهذا ما يجعل البعض يربط عصر العبودية بعصر الحضارة¹⁶.

12 - داليا عادل الزيايدي، النظم الاقتصادية المقارنة، كلية التجارة، التعليم المفتوح، جامعة عين الشمس، د ت، ص 28.

13 - نفس المرجع، ص 29.

14 - عبد الله ساقور، مرجع سابق، ص 47.

15 - عبد العزيز بن علي السديس، تطور النظم الاقتصادية: تحول أوروبا من نظام الإقطاع إلى النظام الرأسمالي باستخدام نظرية كوفاليف، جامعة الملك سعود، الرياض، د ت، ص 09.

16 - نفس المرجع، نفس الصفحة.

- تميز نظام الرق بعدم العدالة في التوزيع لأن ما ينتجه الرق يذهب بالكامل لصالح سيده، ولا يحصل الرق على ما يكفي لسد حاجاته الضرورية او لضمان إستمرار حمايته، وكان الأرقاء جزءا من وسائل الإنتاج فهم جزء من الأشياء كالأرض والحيوانات والآلات¹⁷.

- ظهر في ظل نظام الرق تبادل البضائع الذي تحول تحولا متدرجا إلى تجارة منظمة ونشأت الأسواق التي تجاوزت حدود الدولة الواحدة، وظهر ما يسمى بالتجارة الخارجية، وقد أدى تزايد كميات الإنتاج من السلع المخصصة للسوق وتوسيع التبادل إلى تزايد التفاوت في الملكية والثروة على حساب عمل الرقيق، وظل الإقتصاد الطبيعي سائدا إلى حد ما، وظهر إلى جانبه الإقتصاد التبادلي (إنتاج-تبادل-توزيع-استهلاك)، وظلت الأرض وسيلة الإنتاج الرئيسية، وإعتمد النشاط الإقتصادي على الزراعة وتربية الماشية مع ظهور الإنتاج الحرفي، ومع تطور التجارة المنظمة ظهرت النقود التي بدأت تحتل مكانة مهمة في اقصاديات مجتمع الرق¹⁸.

- يتميز العمل في النظام العبودي بطبيعة العمل الجماعي والتعاون بين العبيد ولكن في إطار الإكراه والقسر (الاستغلال) لصالح السادة الذين يمتلكون أدوات العمل (بما فيها العبيد) وإلى جانب عمل العبيد في جميع المجالات (الزراعة، الرعي، العمل الحرفي...) كان العبيد يقومون بإنتاج الجزء الأكبر من المنتجات وشكل نشاطهم العمود الفقري في عملية الإنتاج في مجتمع العبيد، وإلى جانب هؤلاء كان هناك بعض المنتجين من الأحرار الذين كانوا ينتجون بصفة فردية، حيث تمتعوا بحرية امتلاك وسائل الإنتاج والعمل وكانوا في الغالب متخصصين في بعض الأعمال الحرفية(الحدادة، الألبسة، الزراعة...) إلا أنهم في نفس الوقت يخضعون للنظام العام، حيث كان يتعين عليهم دفع ضرائب جزء من دخولهم للدولة في صورة نقدية عينية، وكانت هذه الفئة من الأحرار تمثل عماد المجتمع، إذ لايسمح للعبيد بالعمل في الجيش وذلك لحاجة الأسياد الماسة إليهم لممارسة أوجه النشاط الإقتصادي المختلفة¹⁹.

- تم التقسيم الإجتماعي للعمل على مجالين هما:²⁰

17 - موسوعة مقاتل من الصحراء، مرجع سابق.

18 - الموسوعة العربية، الأنظمة الإقتصادية، مرجع سابق.

19 - صبرينة يونس، تاريخ الوقائع الإقتصادية، مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الأولى LMD، قسم العلوم الإقتصادية، كلية العلوم الإقتصادية، التجارية وعلوم التسيير، جامعة محمد الشريف مساعدي، سوق أهراس، 2016-2017،

- عمل فكري يقوم به الأسياد: والذي يتضمن الفلسفة والشعر والفن، والإدارة والسياسة والتخطيط بمعنى كل عمل ذهني بعيدا عن العمل التنفيذي.

- عمل جسدي يقوم به العبيد: وهو الذي يتضمن مختلف الأعمال الشاقة من الحرث والزراعة، وشق الطرق...إلخ.

- لم يكن بوسع مالكي العبيد إخضاع العبيد المشاغبين وإكراههم على العمل من أجلهم وزيادة ثروتهم وإشباع حاجاتهم المتنامية التي لا يمكن إشباعها أبدا إلا بوجود جهاز دائم للقمع وقد تكون هذا الجهاز تدريجيا ليشكل الدولة وكانت وظائف الدولة في النظام العبودي²¹ تتمثل فيمايلي: ²²

- حماية السادة وقمع المستغلين -العبيد-

- توسيع أراضي الدولة عن طريق شن الحروب للاستيلاء على العبيد وظهور جيش محترف مهمته الدفاع عن مصالح الطبقة السائدة.

* مع تعاظم دور النقود كوسيلة للتبادل وفي ظل بعد المنتجين عن بعضهم البعض ظهرت طبقة جديدة هي طبقة التجار حيث تخصصت فئة من التجار بشراء وبيع السلع وكان الفرق بين سعر البيع والشراء هو مصدر الربح التجاري، ولذلك لم يعد دور النقود قياسا للقيمة فقط، ولكن أصبحت النقود كوسيلة لجمع الثروة وظهر لأول مرة الرأس المال التجاري، ومن ناحية أخرى تميزت هذه المرحلة بظهور الرأس المال الربوي الذي إتخذ من النقود كوسيلة للإقراض والتسليف، حيث يقوم المرابون بتقديم القروض النقدية إلى السادة والمنتجين والحرفين والأفراد مقابل معدل الفائدة²³.

* القانون الأساسي الذي يميز انتاج المجتمع العبودي هو: " إن إنتاج الخيرات المادية موجه لسد مختلف حاجات مالكي العبيد المتزايدة باستمرار وكان يتم عن طريق الإستثمار في العبيد²⁴.

3- أسباب إنهيار المجتمع العبودي: تتلخص أبرز أسباب إنهيار النظام العبودي فيمايلي:²⁵

21 - سعاد حوحو، مرجع سابق، ص 18.

22 - نفس المرجع، نفس الصفحة.

23 - صبرينة يونس، مرجع سابق، ص 13.

24 - عبد الله ساقور، مرجع سابق، ص 47.

25 - نفس المرجع ، ص ص 50، 51.

- كان ينظر إلى العمل اليدوي من جانب سكان المدن الأحرار على أنه وضعيا فلا يقبلون عليه.

- توقفت جهود كل من الأسياد والعبيد لانعدام مصلحة الطرفين فالأسياد كانوا يفضلون استخدام عمل العبيد لأنه أقل تكلفة وأسهل، وبالمقابل فإن العبيد هم بدورهم لم يكن لهم مصلحة في تحسين أدوات العمل ووسائله بسبب أن ثمرة عملهم تؤول كلية إلى الأسياد، كما أن أدوات العمل تسبب لهم إرهاقا شديدا.

- وقعت مجموعات الحرفيين والمنتجين الصغار والفلاحين وذوي الملكيات الصغيرة تحت طائلة الفقر وتحولهم تدريجيا إلى عبيد بسبب إزدياد الضرائب على منتوجاتهم والمنافسة غير المتكافئة لهم من قبل الأسياد المستخدمين للعبيد في المشاريع الكبرى الحرفية والزراعية.

- تنامي ثورات العبيد في مختلف الدول بسبب الاضطهاد والإستغلال المسلط عليهم وتداعيات استنزاف قواهم الجسدية والنفسية.

- ترافق مع القلاقل الداخلية انخراط في التجارة والإقتصاد عموما وبدأت العلاقات الإنتاجية إذن في التآكل وتفككت حيث أصبح الحصول على العبيد عملية شاقة بفعل نقص كمياتهم المعروضة وارتفاع أسعارهم، وأمام هذا الوضع بذلت محاولات من قبل الأسياد لاستمرار استغلالهم للآخرين بأشكال وصيغ جديدة.

ثالثاً: النظام الإقتصادي الإقطاعي:

1- نشأة النظام الإقطاعي:

كان النظام تلاقطاعي بمثابة النظام الإقتصادي والإجتماعي والسياسي الذي ساد في أوروبا خلال العصور الوسطى، حيث نشأ هذا النظام على أنقاض النظام العبودي وذلك بعد ما قامت القبائل الجرمانية بإحتلال روما، كانت الإمبراطورية الرومانية في جزأيا الشرقية والغربية تقوم على سيادة أهل روما وعلى نظام الرق والتجارة بين مختلف أجزائها وكان نظام الحكم يقوم على وجود سلطة مركزية قوية مركزها روما، وبالتالي السيطرة على الإمبراطورية الرومانية الغربية (476م)، كما قامت الدولة الإسلامية في القرن الثامن ميلادي بشن الحروب على الإمبراطوريات الشرقية، كل ذلك أدى إلى إختيار العالم القديم وضيع معاملة في أوروبا وذلك بعد سقوط روما وإختيار جهاز الحكم المركزي فيها وإنقطاع التجارة بين الشرق والغرب بسبب تعاضم نفوذ الدولة الإسلامية²⁶.

* وبعد فشل ملوك الجرمان في إقامة سلطة مركزية قوية عمدوا إلى تنصيب قادة جيوشهم حكاما للأقاليم وكان الملك يكافئ المخلصين منهم فيمنحهم الأراضي ويصبحون أتباعه وكان قصده من ذلك أن منح الأرض للتابع سيقوي روح الولاء والإخلاص له، ولكن الواقع كان غير ما تصوره الملك، فقد حققت الأرض للتابع الاستقلال المادي وقوت مركزه الإقتصادي في الوقت الذي ضعف فيه مركز الملك لأنه ترك جزء من أملاكه لأتباعه²⁷.

* وهكذا تحول السيد الإقطاعي وهو تابع للملك إلى شخصية مستقلة عمليا، فأصبحت وظيفة وراثية، وأخذ يجمع الضرائب لحسابه الخاص وأنسأ محاكم إقطاعية تحكم بإسمه وأعد

26 - أسماء جاسم محمد، التاريخ الإقتصادي، ص 16، متاح على الرابط التالي:

<https://coadec.uobaghdad.edu.iq/wp-content/uploads/sites/9/2018/11/%D9%85%D8%AD%D8%A7%D8%B6%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%88%D9%82%D8%A7%D8%A6%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF%D8%A9.pdf>، تم تصفح

الموقع بتاريخ: 2021/03/17.

27 - رواء زكي الطويل، مرجع سابق، ص 49.

جيشاً تحت إمرته وصار يقيم في إقطاعيته يعيش على عمل الفلاحين مقابل تعهد بحمايتهم، وكانت كل إقطاعية مقسمة إلى قسمين غير متساوين:

- **القسم الأول:** هو الجزء من الأرض الذي يحتفظ به السيد لنفسه يستغله مباشرة لحسابه.

- **القسم الثاني:** من أملاك السيد فيتكون من قطع الأرض التي منحت للفلاحين الذين يلتزم كل بزراعة قطعه²⁸، وبذلك بدت الإقطاعية وكأنها وحدة إقتصادية وإجتماعية وسياسية، وبالتالي تشكل ما يسمى **بالهرم الإقطاعي** الذي يأتي في قمته الإمبراطور الذي فقد نفوذه السياسي والإقتصادي مع مرور الوقت لصالح قاعدة الهرم التي تتألف من قادة الإقطاعيات مثل: النبلاء، الأشراف، الأسياد، اللوردات²⁹.

2- التقسيم الإجتماعي للنظام الإقطاعي: إنقسم المجتمع إلى ثلاثة طبقات وهي:³⁰

أ- **رجال الدين:** الذين لعبوا دور الأمراء الأثرياء من خلال ماتمنحهم الدولة من اراض موقوفة فالملك كان يمتلك جميع الأراضي ويحكم كما يشاء.

ب- **طبقة الأسياد-الإقطاعيين-:** وهم ملاك السلطة والحرب بالوراثة يقتطع لهم الملك أراضي شاسعة مقابل تقديم الأموال له والجواهر النفسية.

ج- **الطبقة الثالثة:** فهي الطبقة العامة-الفلاحون- وهي مكونة من العبيد وكانت تشكل الغالبية العظمى من المجتمع مهمتهم طاعة سيدهم صاحب الأرض ويعيشون حياة فقر لا حقوق مدنية ولا إنسانية سوى خدمة المالك والدفاع عنه وفلاحة الأرض وهم في الواقع تابعون للأرض، فإذا بيعت الأرض لمالك آخر تباع بمن عليها من فلاحين.

28- نفس المرجع، نفس الصفحة.

29 - أسماء جاسم محمد، التاريخ الإقتصادي، مرجع سابق، ص 16

30 - جعفر الصائغ، تطور الأنظمة الإقتصادية: النظام الإقطاعي، مقال متاح على الرابط التالي:

http://www.akhbar-alkhaleej.com/news/article/1223635 ، تم تصفح الموقع بتاريخ:

.2021/03/18

3- أشكال الربيع الإقطاعي: هناك ثلاثة أنواع للربيع في النظام الإقطاعي وهي: ³¹

أ- ربيع السخرة (الناتج من العمل): وهو أول وأبسط شكل من أشكال الربيع الإقطاعي في هذا الشكل كان الفلاح ينتج إنتاجه الضروري لتلبية حاجاته في أرضه، أما الإنتاج الفائض فكان ينتجه في أرض الإقطاعي، وهذا ما يدعى بالسخرة والعمل الإكراهي، عن العمل الفائض في هذا الربيع منفصل عن العمل الضروري سواء في الزمان أو المكان فيعمل الفلاح قسما من أيام الأسبوع (يومين أو ثلاثة أيام) مستعينا بأدوات إنتاجه الخاصة (دواب، العمل، المحراث...) في أرض السيد الإقطاعي والأيام المتبقية من الأسبوع في أرضه.

ب- الربيع العيني: هو عبارة عن نفس الشكل للربيع الناتج من العمل لكنه بشكل مختلف، عن الربيع العيني هو الشكل الأكثر تطورا للربيع العقاري الإقطاعي من سابقه ويتميز هذا النوع عن ربيع السخرة في أن العمل الفائض ينفذ لا في شكله الطبيعي بإعتباره عملا خاصا في أرض الإقطاعي، بل ينفذ إلى جانب الضروري في أرض الفلاح الخاصة، يقوم الفلاح بهذا العمل متمتعا بزمن العمل كله دون رقيب لا من المالك ولا من الشخص الذي يضعه في السابق ليمثله وعلى مسؤولية الفلاح في الشكل المالك من الربيع العقاري لا ينفصل عمل الفلاح في أرضه عن عمله في أرض الإقطاعي لا في الزمان ولا المكان.

* هذا الشكل من الربيع العقاري هيا للإقطاعي الحصول على فائض إنتاج أكثر من السابق وكذلك قضى على تناقضات إدارته، أي على عدم اهتمام الفلاح بالإنتاج في أرض الإقطاعي والأهم من ذلك بالنسبة له تقليص النفقات التي كان يتطلبها الإشراف على عمل الفلاحين، إن الربيع العيني شأنه ربيع السخرة يتطلب الاقتصاد الطبقي وقد بلغت الإتاوة العلنية التي يتزعمها الإقطاعيون مقادير عظيمة.

³¹ - فواز فرحان، الإقتصاد والماركسية: الإكراه في المجتمع الإقطاعي، الحوار المتمدن، العدد 4317، تاريخ النشر

2013/12/26، متاح على الرابط التالي:

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=393027> ، تم تصفح الموقع بتاريخ:

.2021/03/18

ج-الربيع النقدي: وهو شكل مطور ومحول للشكل العيني للربيع، حيث إن الإختلاف بين الربيع العيني والنقدي يتمثل في أن الفلاح كان للإقطاعي في الشكل السابق العيني الإنتاج الفائض عينا، اما في الشكل الجديد فيدفعه نقدا، أي أنه يدفع ثمن الانتاج الفائض نقدا لم يعد من واجبات الفلاح أن ينتج فائضا فحسب بل عليه بيع هذا الفائض وتحمل تكاليف النقل والحمولة وغيرها، وتحت هذا الشكل عليه أن يقدم الفائض نقدا صتفيا للإقطاعي، إن تحول الربيع العيني إلى ربيع نقدي كان مرده إلى التطور الهام الذي طرأ على عهد الإقطاعي على التجارة والحرفة والإنتاج والتداول النقدي ففي هذه الظروف كان لابد للإقطاعي ان يجذب أكثر فأكثر إلى حلبة التجارة والتداول النقدي وفرضت عليه عمليا ضرورة فهم الدورة الإقتصادية الجديدة التي ولدها التطور في المرحلة الأخيرة للإقطاعية.

* نجم عن هذا التحول تحولات هامة أبرزها:³²

- 1- في الشكل النقدي للربيع توطدت وإتسعت كثيرا ملكية الفلاح لوسائل الإنتاج وغيرها من شروط العمل المتميزة عن الأرض.
- 2- العلاقات القائمة بين الفلاح والإقطاعي بدأت بذاتها بالتحول تدريجيا إلى علاقات تعاقدية، ونقدية وكان وضع الفلاح التابع يقترب تدريجيا إلى وضع المستأجر المحض.
- 3- في الربيع النقدي بدأت تنشأ أثمان للأراض أي الربيع العقاري المتمجع، هذا إلى جانب ظهور ربيع الأرض وشرائها.
- 4- في الشكل النقدي للربيع الإقطاعي بدأت الأرض تؤجر من الرأسمالين.
- 5- الشكل النقدي للربيع ساعد على ظهور العمال في مجال الزراعة والذي أتوا من صفوف الفلاحين الذين تعرضوا للفقير والتي تخدمت إستثماراتهم نتيجة وقوعهم تحت سلطة إقطاعي شجع، هؤلاء كان يتم استئجارهم للعمل في الأرض لقاء نقدا.

4- خصائص النظام الإقطاعي: تتمثل أبرز خصائص النظام الإقتصادي في مايلي:³³

- الإقتصاد الإقطاعي إقتصاد زراعي: كان إقتصاد العصور الوسطى يتميزه بكون إقتصاد زراعي لأن النشاط الإقتصادي كان يجري في نطاق الملكية الزراعية الكبيرة أي الإقطاعية، وكان على الإقطاعية أن تنتج كل مايلزم سكانها وكانت الزراعة تمثل النشاط الإقتصادي الأساسي، وكانت هناك اوجه عديدة للنشاط الزراعي ولكن هذا النشاط لم يكن أساسيا بل كان تابعا للنشاط الزراعي.

- الإقتصاد الإقطاعي إقتصاد مغلق: لم يكن القصد من الإنتاج عرض المنتجات في السوق ولم يكن يهدف إلى تحقيق الربح وإنما كان يهدف إلى إشباع الحاجات المباشرة، فالوظيفة التي كانت تؤديها الإقطاعية هي تأمين كافة وسائل المعيشة لسكانها، وبتعبير آخر أن الإقتصاد الإقطاعي كان قائما على مبدأ الإكتفاء الذاتي ومادام الغنتاج كان لغرض الإستهلاك وليس لغرض المبادلة فهو إقتصاد مغلق.

- الإقتصاد الإقطاعي إقتصاد متأخر: الفكرة الأساسية التي سائدة آنذاك هي أن الأرض ليست سوى مجرد وسيلة لتأمين المعيشة وليست وسيلة لخلق القيم ولهذا كانت الأدوات المستعملة والطرق المتبعة في الزراعة قديمة ولم يشهد العالم في هذه الفترة أي تطور في الإنتاج.

- توسيع التجارة ونمو المدن: بلغ النظام الإقطاعي مرحلة التكامل والإزدهار في القرن العاشر ثم حدث توسع سريع في المبادلات التجارية أدى إلى نمو المدن وخلق صناعات يدوية فيها وانتعاش الزراعة وترتب على تنشيط التجارة إحياء المدن من جديد فأخذ يفر إليها التجار والصناع والفلاحين الهاربون من الإقطاعيون.

- إستعمال نظام الدومين: تعني الكلمة اللاتينية **Dominus** السيد المالك، ويتلخص نظام الدومين في أن الزراعة كانت مقسمة إلى قسمين رئيسين ينتفع المالك بأحدهما ويوزع الثاني حصصا مبعثرة بين الفلاحين مقابل ما يؤدونه للسيد من خدمات في أرضه وكان الأفراد الذين في الدومين يتبعون السيد تبعية تامة³⁴.

33 - رواء زكي الطويل، مرجع سابق، ص ص 50، 52.

34 - نيفين ظافر حسيب الكردي، الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الأوروبي من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، فلسطين، 2011، ص 184.

- حققت القوى المنتجة في النظام الإقطاعي مستوى تطور عالياً مقارنة مع مستواها في نظام الرق، من تزايد العلاقات البضاعية النقدية ونموها، أخذ النقد شيئاً فشيئاً يساهم إسهاماً فعالاً بوصفه مقياساً للقيمة، كما إتسعت علاقات التبادل والعلاقات السلعية النقدية من التطور في أدوات العمل ووسائله وتقسّم العمل الإجماعي³⁵.

- ظهور ما يسمى بالأقنان وهم عبيد الأرض حيث يرتبطون بصفة أبدية بأرض السيد ويدفعون له ضرائب تسمى الربيع ويقدمون لو خدمات شخصية وعمل يسمى سخرة، ويختلفون عن العبيد في كونهم لديهم بعض الحقوق فيعملون جزءاً من الوقت لحسابهم الخاص ومن ثم زيادة الإنتاج³⁶.

- **التنظيم الحرفي:** كان أصحاب الحرف يقيمون في المدينة خارج سلطة الضيعة هم وعائلاتهم ومساعدتهم في إنتاج السلع المختلفة، ولذلك قاموا بتنظيم أنفسهم في جمعيات حرفية تدافع عن مصالحهم وتنظم الحرفة بما يمنع عنها المنافسة الخارجية ويقتصر حق الإنتاج على أعضاء الحرفة، وعرفت هذه الجمعيات بإسم النقابات الطائفية وكانت هذه النقابات تملك بعض السلطات العامة فكانت تعمل على المحافظة على مستويات أسعار السلع عن طريق تحديد الأسعار ولا يجوز لأي عضو البيع دونها وهي أسعار عادلة بالنسبة للمستهلكين، كما أن النقابة كانت تحدد عدد العمال وأجورهم وطرق الإنتاج وتنظم العلاقة بين مختلف أعضاء الحرفة وتقوم بالتحكيم بينهم³⁷.

- كان النظام الإقطاعي يقوم على الإقطاعيات أو الضيعات والإقطاعية أو الضيعة هي قرية تحوطها الأسوار وتحترقها الشوارع، ويحدها الفضاء الفسيح من الخارج وبها كان الكنيسة ومبنى كبير، وإلى جانب الحقول المزروعة كانت بالإقطاعية الغابات والمراعي الدائمة وكانت أراضي الإقطاعية تقسم إلى قطع كبيرة³⁸.

- **دور الكنيسة:** بينما كان الإمبراطور يمثل السلطة الدنيوية في ظل النظام الإقطاعي كانت الكنيسة تمثل السلطة الدينية أو الروحية وكانت تمتلك في الواقع السلطة العليا في البلاد لأن

35 - الموسوعة العربية، الأنظمة الإقتصادية، مرجع سابق.

36 - آسيا سعدان، مرجع سابق، ص 13.

37 - داليا عادل الزيايدي، مرجع سابق.

38 - موسوعة مقاتل من الصحراء، مرجع سابق.

كل شيء بما في ذلك الحكم وما يرتبط به من سلطة دنيوية يجب أن يكون خاضعا للدين، ولقد إحتكرت الكنيسة مهنة التعليم إحتكارا كاملا، لذا كان يطلق على رجال الدين كانوا يعلمون الفلسفة والدين واللاهوت في أوروبا منذ القرن العاشر ميلادي إسم المدرسين ويعتبر **توماس الإيكويني** أهم هؤلاء المدرسين وأكبر ممثل لفكرهم في العصور الوسطى في أوروبا³⁹.

* القانون الأساسي لأسلوب الإنتاج الإقطاعي يتمثل في: أن الإقطاعيين في كل زمان ومكان يجاهدون للحصول على أكبر ما يمكن من المنتج الفائض تحت شكل ريع عقاري إقطاعي وذلك عن طريق الإستثمار الإكراهي للفلاحين⁴⁰.

5- أسباب إنحيار النظام الإقتصادي الإقطاعي: بدأ النظام الإقطاعي في الإنحيار مع بداية القرن السادس عشر وتتمثل أبرز أسباب إنحياره في مايلي: ⁴¹

- عدم الإنسجام في العلاقات الإنتاجية الإقطاعية حيث صار التنظيم الحرفي الإقطاعي عقبة في وجه كل تطور جديد لإنتاج البضائع وتصريفها.

- التطور الحاصل على القوى المنتجة في نهاية العهد الإقطاعي كإستخدام الدولار المائي وصهر المعادن وصناعة النسيج وبناء السفن وتحسين أدوات العمل الزراعية وزيادة أنواع المحاصيل الزراعية والمنتجات الحيوانية.

- لم تعد الحرفة الضيقة في المجتمع الإقطاعي تستجيب لضرورات التطور لتلبية طلبات السوق الإقتصادية الجديدة وهو ما ساعد بالإسراع في إنشاء الصناعات الرأسمالية.

- شهدت أوروبا الإقطاعية إنفاضات الفلاحين المتعاقبة حيث نشبت حرب الفلاحين في فرنسا وإنجلترا والمانيا، واستفادت البرجوازية الأوربية من سحق الفلاحين على النظام الإقطاعي.

- الإنفصال التام بين المدينة والقرية حيث ترتب عنه تطور في التبادل السلعي وزيادة تقسيم العمل الإجتماعي مما خلق سوقا إقتصادية على المستوى القطري.

39 - زينب صالح الأشيوح، مرجع سابق، ص 60.

40 عبد الله ساقور، مرجع سابق، ص 54.

41 - نفس المرجع، ص ص 55، 56.

- ظهور النقود وإستخدامها وسيطا للتبادل نتيجة الصعوبات والمشاكل المرتبطة بنظام المقايضة وقد أدى ذلك إلى إزدهار الأسواق وتقويتها وتمكن المزارعون من بيع كميات من محاصيلهم ودفع الإلتزامات النقدية للسادة، كما حلت الدولة القوية التي يحكمها ملك محل الولايات⁴².